العند

أولًا هل هناك شيء اسمه طفل عنيد؟

في كتب التربية السلمية – Peaceful Parenting – لا يوجد وصف «الطفل العنيد»! يستخدم التربويون مصطلحات أكثر إيجابية وأكثر قدرة على التعبير عن هذه السمة في الأطفال مثل «الطفل ذو الشخصية القوية» أو «الطفل ذو الاحتياجات المُلِحة» أو «الطفل ذو الإرادة القوية» وغيرها من المسميات التي تزيل وصم «العند» عن الطفل!

مثل هذه المسميات تساعد الأهل على تقبل واحتواء طفلهم والتعامل مع متطلبات شخصيته بصدر رحب وطول بال! في نهاية كل هذه الكتب، يعد التربويون الأهل بالجائزة الكبرى عندما يتخطى طفلهم مرحلة الطفولة! يعدونهم بطفل قائد يعتمد عليه، مستقل قادر على التفرقة بين الصواب والخطأ، وواعٍ وليس عرضة للانجراف في تيارات سلبية أو مدمرة!

ثانيًا العلاقة بين مراحل الطاعة والعند

كما ذكرت سابقًا، الطفل أقل من سنتين غير قادر على الطاعة ولا يجب غصبه على الطاعة

باستخدام العنف اللفظي أو الجسدي! في هذه السن الصغيرة احتياج الطفل للاستكشاف والتجربة أقوى من أي توجيه أو قيد أو عقاب! عقاب الطفل سوف يؤدي إلى توتر علاقته بأهله وفقدان الثقة و«العند» كعقاب لهم على اعتدائهم عليه! في هذه المرحلة دور الأهل مساعدة الطفل على الاستكشاف مع تأمينه خلال محاولاته للتعرف على العالم من حوله!

في العام الثالث يطيع الطفل الأوامر وفقًا لأهوائه! أكبر خطأ يقع فيه الأهل هو مكافأته على الطاعة لأن هذا يجعل الصواب مقترنًا بالمكافأة، ومع الوقت يكبر الطفل ويفقد حب اختيار الصواب! في هذا العام يجب على الأهل الإكثار من التوجيهات ووضع قواعد ثابتة للمنزل يلتزم بها كل من يعيش في هذا المنزل! مثلًا: كل من في المنزل يغسل يديه قبل وبعد الأكل، أو كل من في المنزل يرتب سريره، أو كل من في المنزل يرتب حجرته وهكذا!

ما بين ثلاثة وستة أعوام يبدأ الطفل التمييز بين الصواب والخطأ ولكن قدرته على الالتزام بالصواب قد تخذله أحيانًا! هذه مرحلة طبيعية يجب أن يمر بها كل الأطفال ويجب على الأهل استيعابها لأن الهدف في النهاية ليس تربية طفل خاضع خانع مطيع لأوامر كل من هو أكبر منه سنًّا، أو أعلى منه سلطة! الهدف هو تنشئة طفل ملتزم يختار الصواب وقادر على مقاومة المغريات!

ما بين ستة وثمانية أعوام يطيع الطفل من يثق بهم! لا تفترض أن الطفل يثق بك لمجرد أنك أبوه وأنك أمه وتعرفان مصلحته! الثقة تكتسب من خلال المواقف أثناء جميع سنوات الطفولة الماضية!

بعد ثمانية أعوام من التربية تجنون ثمار ما زرعتم!

ثالثًا العند من منظور الطفل

إذا أردتم أن تفهموا الطفل فيجب أن تضعوا أنفسكم مكانه! تخيلوا أنفسكم في مكانه بالضبط! تخيلوا كيف يراكم وكيف يفسر تصرفاتكم وكيف يترجم أوامركم!

في أغلب الأحيان، الطفل «العنيد» يرى الأهل في صورة ديكتاتور أو سجان أو معتدٍ على حريته وحقه! هذا سبب العند! يناطحكم رأسًا برأس دفاعًا عن طفولته وعن حقه في اللعب أو التسلية أو الاستكشاف!

قبل أن تلوموه على خطأ ارتكبه، حاسبوا أنفسكم أولًا على أخطائكم في حقه، تركه فريسة للملل والزهق! حرمانه من الانطلاق واللعب والجري! تحميله مسئوليات أكبر من عمره! استخدامه كمنفث لغضبكم وإحباطاتكم!

ضعوا أنفسكم مكان الطفل، وتخيلوا ماذا أنتم فاعلون لو كنتم مكانه!

رابعًا أضرار «كسر» العند

كسر العند في الطفل له طرق معروفة! الضرب! الصياح! الحرمان! العزل! المعايرة! الذل! الحصار النفسي!

كم هي أساليب قاسية عندما نجردها من الزخرف اللفظي! فما ركن العقاب أو كرسي العقاب إلا عزل وذل وحرمان وحصار نفسي!

قد تنجحوا وتحصلون على طفل يهابكم ويطيعكم، ولكن انظروا إلى باقي شخصيته لتعرفوا مدى خطئكم في حقه، طفل مهزوز الشخصية غير قادر على مقاومة الاعتداء عليه من أي شخص، وفاقد الثقة في نفسه، ويحتاج دائمًا إلى من يتخذ له القرارات – حتى وإن كان صديقًا في مثل عمره!

قد تحصلون على طفل متبلد لا يهمه العقاب ولا يشعر بالخزي ويتعمد إحراجكم في كل مكان! هذا الطفل ينقل ما تعرض له من قهر في منزله إلى الحضانة والمدرسة والنادي، ويتعمد إيذاء الآخرين لأنه متألم!

خامسًا إستراتيجيات لتفادي العند

الإستراتيجية الأولى: ليه تقولوا لأ وأنتم ممكن تقولوا أيوه؟

هذا ليس سؤالًا مجازيًّا! حقًّا! لماذا نحب نهي الأطفال بدلًا من تشجيعهم واحتوائهم! حتى تكون «لا» مؤثرة ومطاعة، لا يجب أن تكون مستهلكة ومعتادة! إذا أراد طفلكم تسلق شجرة أو الجري أو استخدام المفك أو تشغيل التلفاز أو فتح محفظتكم أو الـ«دعبسة» في أدراجكم أو إعادة ترتيب الثلاجة، لماذا تمنعوه؟ ضعوا أنفسكم مكان طفلكم الذي يريد أن يستكشف ويتعلم ويستقل ويكبر، وها أنتم تمنعوه وتتحولوا إلى عقبة في طريقه – عقبة

عليه أن «يزيحها» بكل ما أوتي من قوة! سوف يصرخ ويبكي ويدفعكم ويضربكم لأنكم تمثلون حائلًا بينه وبين المعرفة!

أليس من الأفضل أن تشجعوه؟ أليس من الأفضل أن تعلموه؟ أليس من الأفضل أن تتركوه يحاول وأن تؤمنوا البيئة من حوله حتى لا يصاب بمكروه؟

الإستراتيجية الثانية: اعرضوا بدائل وحلولًا إيجابية

لا تكتفوا بالأمر والنهي! يجب أن تعرضوا بدائل تشبع المرحلة الحساسة التي يمر بها الطفل! مثلًا، الطفل يريد أن يلعب في الماء، وأنتم تريدون أن تعملوا، ولن يمكنكم الإشراف عليه! بدلًا من الصدام يمكنكم أن تعملوا على اللابتوب على طاولة المطبخ، بينما يقف طفلكم على درجة أمام الحوض يغسل لعبه. إذا أراد طفلكم استكشاف الكهرباء، بدلًا من منعه، علموه كيف يضع كبس المكنسة في الفيشة، وعلموه شروط التعامل مع الفيشة، ألا تكون يده مبللة، أو ألا يضع إصبعه أو شيئًا ما في فتحات الفيشة. كرروا الدرس كل مرة حتى يتذكره الطفل، وفي نفس الوقت علموه كيف يستخدم الفيشة بطريقة سليمة.

إذا وجدتم طفلكم «يخرب» لعبه، اعرفوا أنه يحاول فكها حتى يتعلم كيف تعمل. أحضروا له بطارية كبيرة «تورش»، وعلموه كيف يفتحها ويضع البطاريات الصغيرة بداخلها. ابدءوا بإجراء التجارب العلمية المنزلية مع طفلكم حتى تشبعوا هذا الشغف.

الإستراتيجية الثالثة: الوعد

أحيانًا نكون في عجلة من أمرنا، أو يكون علينا قضاء مهمة ما ولا نستطيع التوقف لاستكشاف شيء في الحديقة أو الشارع، في هذا الموقف يجب أن نستخدم إستراتيجية الوعد!

«الآن يجب أن نذهب إلى البنك ولكن عند عودتنا أوعدك أن نأخذ جولة في الحديقة ونشاهد البراعم الصغيرة»

هذا مجرد مثال، ولكن هذه الإستراتيجية لن تنجح إذا كانت لدى الطفل خبرات سيئة مع وعودكم له! كم مرة وعدتموه بالخروج ولم تفوا؟ كم مرة وعدتموه باللعب معه ولم تنفذوا وعدكم؟ إذا فقد وعدكم قيمته، فلن تنجح هذه الإستراتيجية!

تأكدوا من استخدام كلمة «أوعدك» حتى يربط الطفل بينها وبين صدق من تقولون!

هل تتذكرون أهلكم وجملتهم الشهيرة «إن شاء الله»؟ هل تتذكرون معناها بالنسبة لكم؟ هل تتذكرون تأثيرها؟

الإستراتيجية الرابعة: اعرفوا وجهة نظر الطفل

لا تتعاملوا مع الطفل وكأنه جماد أو كائن عاجز! اسألوا الطفل لماذا يريد الذهاب إلى المول، أو لماذا يريد السير وحده، أو لماذا يريدكم أن تحملوه! أعطوه الفرصة للتعبير عن نفسه بكل أدواته وإذا طلب منكم أن تتبعوه، اتبعوه حتى تروا وتعرفون أهمية رغبته!

قد يبدو الأمر تافهًا بالنسبة لكم، ولكن بالنسبة للطفل هذا عمل جاد! لا تستهينوا بلعب الطفل لأن هذا اللعب هو العمل بالنسبة له!

الإستراتيجية الخامسة: نعم للحسم لا للعنف

في الأوقات النادرة التي لا يجب أن ترفضوا فيها رغبة الطفل، ولن تستطيعوا استخدام الإستراتيجيات السابقة، قولوا «لا» بحسم مع توضيح الأسباب في جمل قصيرة واضحة، ولا تلجئوا إلى الصوت العالي أو الإهانة أو الضرب! علموا طفلكم كيف يكون حاسمًا بدون عنف، كونوا قدوة!

مثلًا، في أمر «الفيشة والكبس ومفتاح النور»، لا يخلو صندوق بريدي من هذا السؤال بصورة شبه يومية: «كيف أمنع طفلي من العبث بالكهرباء؟» في أغلب الأوقات يكون الطفل سبب المشكلة أقل من ثلاثة أعوام وعادة يكون في عامه الثاني. هل جميع الأطفال على خطأ؟ هل خلقوا جميعًا وبهم هذا العيب البشع الذي يدفعهم لاستكشاف الكهرباء؟ إذا كنتم تعانون من هذه المشكلة مع طفلكم، فقد يساعدكم الكلام الآتي:

القاعدة الأولى في التربية بالترابط تقول: ضعوا أنفسكم مكان الطفل وانظروا للأمر من وراء عقله ومن منظوره.

ماذا يجذب جميع الأطفال بلا استثناء للكهرباء؟

هل تعلمون أن الطفل في العام الثاني والثالث يسمى بـ«العالِم الصغير»؟ هذا العالِم الصغير

لديه شغف بالتجربة وباقتفاء الأثر ويحاول أن يجد علاقات منطقية بين الفعل ورد الفعل.

الكهرباء بالنسبة للطفل مبهرة، زر صغير نضغط عليه فيضيء المكان بأكمله. عقل العالِم الصغير يريد أن يتعرف على هذا السحر. كيف لهذا الزر أن يتحكم في هذه اللمبة المعلقة في السقف؟

لماذا تمنعون طفلكم من العلم؟ لماذا تقهرون العالِم الصغير؟

إنها الموروثات المتراكمة وخوف الإنسان الفطري من الكهرباء وقوتها وقدرتها على الصعق. هناك بالفعل حوادث كثيرة راح ضحيتها أطفال تركوا يعبثون بالكهرباء. الخطأ في هذه الحالات ليس خطأ الطفل أو الكهرباء، هذا الخطأ الجسيم يسمى «الإهمال». ترك طفل أقل من ثلاثة سنوات بدون مراقبة دقيقة وعن قرب يسمى إهمالًا.

ماذا تفعلون إذًا؟

الخطوة الأولى:

دوركم هو تشجيع الطفل على الاستكشاف الآمن.

عندما يبدأ طفلكم مرحلة الشغف بمفتاح النور، علموه كيف يجفف يده أولًا قبل أن يضغط عليه. ثم اتركوه يكتشف المفتاح السحري ويتعلم أي مفتاح يضيء أي لمبة.

إذا خفتم على اللمبات من الاحتراق، فيمكنكم أخذ الطفل في جولة حول المنزل ليضغط كل مفاتيح الأنوار ليضيء اللمبات، ثم في جولة عكسية ليضغط على نفس المفاتيح مرة أخرى ليطفئها.

الشرط الأساسي هو جفاف يديه.

الخطوة الثانية:

بعد مرحلة مفتاح النور سيبدأ الهوس بفيشة الكهرباء. تغطية فيشة الكهرباء سيجعلها أكثر إثارة بالنسبة للطفل، وسيجعلكم عقبة في طريقه بدلًا من عون له على الاستكشاف وتنمية المهارات العقلية.

بدلًا من منع الطفل من التعامل مع فيشة الكهرباء، علموا الطفل كيف يمسك بـ«كبس» المكنسة من المنطقة الآمنة ووضع الكبس في الفيشة. في البداية سيكون هذا الأمر بمساعدتك حتى يتمكن الطفل من هذا بمفرده.

الخطوة الثالثة:

أعطوا للطفل مسؤولية إضاءة النور وإطفائه ومسئولية وضع الكبس في الفيشة كلما احتجتم لتشغيل أي من الأجهزة المنزلية.

أعطوا للطفل مسؤولية ضغط أي زر لتستخدموا المكنسة أو الخلاط أو الكبة أو أي جهاز آخر.

الخطوة الرابعة:

بعد أن يكمل الطفل أربع سنوات، يمكنكم أن تعلموه كيف تعمل الدائرة الكهربائية، وفي عمر الخمسة أعوام يمكنكم شراء ألعاب تكوين الدوائر الكهربائية ليستكشف المزيد عن كيفية عمل الكهرباء.

هكذا، يصبح طفلك ممتنًا لكم ومعتمدًا عليكم في كل محاولاته للاستكشاف، بدلًا من أن يتحول إلى كائن حانق عليكم مقاومٍ لكم، وينتهز الفرص للاستكشاف في غفلة منكم، فتحدث الحوادث المؤسفة.